العروبة وفلسطين في سياسة عبد الناصر ودورهما في صنع جاذبيته السياسية

سلوى العمد

كاتبة وباحثة فلسطينية

هذه محاولة لدرس تصوّر الرئيس المصري الاسبق الراحل، جمال عبدالناصر، وتوجهاته السياسية ازاء قضيتي العروبة وفلسطين، ابان السنوات العشر الاولى من عهده، من خلال قراءة في خطاباته السياسية وسياساته العملية. وتكمن أهمية هذه المحاولة في أنها تسعى الى تسليط الضوء على فترة وجيزة في التاريخ العربي المعاصر، شكّلت منعطفاً، أساسياً، في المسار السياسي للحركة القومية العربية قيادة وقاعدة، وكثر الجدل حولها وحول رمزها جمال عبدالناصر. ماذا كانت المواقف الايديولوجية لعبدالناصر حيال هاتين المسألتين؟ وما هو منظوره في معالجتهما؟ وهل كان عبدالناصر مخطئاً أم مصيباً في سياساته؟ أسئلة لا تزال تدور في مخيلة أصدقاء عبدالناصر وأعدائه على حدّ سواء. على ان المحاولة هذه لا تسعى، بأي حال، الى اطلاق الاحكام تأييداً أو معارضة، بل هي معنيّة بتتبع العوامل والظروف التي أملت على عبدالناصر مواقف معيّنة، أو أثّرت في صياغة هذه المواقف؟ كما انها معنيّة بتسليط الضوء على الدور الذي لعبته سياسته حيال مواقفه من هاتين القضيتين في صنع جاذبيته السياسية لدى الجماهير العربية. والتوجه لقراءة سياسة عبدالناصر حيال القضيتين، على هذا النحو، هام لسببين: الاول، ان فلسطين والوحدة العربية ـ وكلاهما كان هاجس عبدالناصر في خطاباته وسياساته منذ وقوع أول عدوان اسرائيلي على قطاع غزة في العام ١٩٥٥ ـ لا تزالان من العناصر الاكثر الحاحاً وديمومة في الواقع السياسي العربي. وهو واقع تأثر على مدار هذا القرن بفعل السياسات الاستعمارية الغربية تجاه هاتين المسألتين؛ والثاني، ان سياسات الدول الاستعمارية الغربية، التي حاربت نزوع عبدالناصر نحو سياسة مستقلة، لا تزال تتمحور حول فرضية ان الحؤول دون وحدة العرب، وتكريس القضية الفلسطينية كأزمة «مزمنة»، هما الضمانة لاطالة أمد السيطرة المباشرة على ثروات المنطقة، وبالتالي،تقرير مسارها السياسي ومصيرها الحضاري بما يتوافق واطالة أمد هذه السيطرة. من هنا، فان مراجعة متأنية لمواقف عبدالناصر من هاتين المسألتين، في الفترة المعنيّة، توضح ملابسات العهد الناصري، وتبيّن التعقيدات المحلية والعربية والدولية، فضلاً عن التعقيدات الناجمة عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي، التي شكّلت بمجملها مأزق عبدالناصر، وأسهمت، بالتالي، في صياغة مواقفه العربية والفلسطينية، وكذلك في صنع جاذبيته السياسية.

مصر أولاً

دلّ تسارع الاحداث قبل ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢، على ان مصر كانت تمر بما يمكن